تاريخ انتشار الاسلام

ظهرت فى الشهر الماضي الترجمة التركية لكتاب السر ويليم أرنولد في تاريخ انتشار الاسلام بقلم خليل خالد بك ، وهو يحتوي على مقدمة واثني عشر فصلا وخاتمة تكلم فيه السير أرنولد على السيرة النبوية الشريفة ، وكيفية انتشار الاسلام بين نصارى آسيا الغربية ، ونصارى افريقية ، ونصارى اسبانية ، ونصارى تركية أوربا ، وفى فارس وآسيا الوسطى ، وبلاد المغول والتتار ، وفى الهند ، والصين ، وإفريقية ، وجزائر الملايو

وقد تكلم الكاتب التركي الشهير سليمان نظيف بك على هذا الكتاب في مقالة نشرت بعدد ٢٦ رجب من جريدة (صون تلغراف) قال فيها : اننا لم نستطع حتى اليوم أن ندوّن التاريخ الاسلامي بالأسلوب القديم ولا أن ندرسه . وكثير من مؤرخينا خيّلوا الينا أن الاسلام انما انتشر في أقطار العالم على شفرات السيوف ، مع أنه لم يبلغ منزلته فى مقدمة ديانات البشر إلاّ بفيض أحكامه ، وفضل استعداده للاتساع

أخذ السير أرنولد ـ مؤلف هذا الكتاب ـ بنظرية مكس مولر القائل ان ديانات البشر الستّ تنقسم الى قسمين : ديانات الدعاية ، وديانات الاعتزال فاليهوديه والبرهمية والزردشتية اعتزلت كل واحدة منهن دعوة أبناء الملل الاخرى الى انتحال مذهبها ، لأن العقيدة عندهم أزلية ولا يجوز التحول عنها ، وفيما هم لا يقبلون انضمام أحد من غيرهم اليهم لا يستطيعون أن يمنعوا انتقال بعض أبنائهم الى مذاهب اخرى . ونتيجة ذلك التناقصُ والضعف اذا لم يكن نهايته الانقراض . وأما ديانات الدعاية فهي البوذية والنصرانية والاسلام . وكل منهن يتسع وينتشر بقدر استعداده . ويقول السير أرنولد : « وان اقتناع المسلمين

بأن دينهم دين الحق قد غرس فى نفوسهم المران والاندفاع فى الدعاية اليه حينما وجدوا ، وآية هذه الدعاية فى ثلاثة عشر قرنا مضت ما نراه اليوم من استقرار الاسلام فى نفوس بضع مئات من ملايين البشر منتشرين فى كل بقعة من بقاع الأرض »

ولقد وقف سليمان نظيف بك أمام كلمة السر أرنولد هذه وقفة التأمل والاعتبار فقال فى جريدة (صون تلغراف) : ان الاسلام ما برح منذ ثلاثة عشر قرناً فى اتساع وانتشار ، لم يمنعه من ذلك تفوّق خصومه فيما هم مجهزون به من آلات ووسائل مادية

قال السر أرنولد « . . . وبينما كان المغول يغيرون على بغداد وينهبونها (عام ٦٥٦ هـ) ويخنقون بيت الخلافة من بنى العباس ويغرقونه بالدماء ، وبينما كان فرديناند يكتسح بقايا المسلمين فى قرطبة (عام ٦٣٤ هـ) وبرغم غرناطة وهي المعقل الاخير للمسلمين فى الاندلس على اداء الخراج ، كان الاسلام فى خلال ذلك يظفر بالتقدم والانتشار فى جزائر سومطرة وجاوة »

فقال سليمان نظيف بك تعليقا على ذلك : ان انتشار الاسلام كان بهذه الصفة فى كل زمان ومكان ، فالترك السلجوقيون فى القرن الخامس الهجري والمغول من بعدهم بقرنين انما جاءوا الى ديار الاسلام أعداء مغيرين فما لبثوا أن دخلوا تحت جناح هذا الدين وصاروا من دعاته وناشريه

قال السر ارنولد في تعليل ذلك : ان انتشار الاسلام يرجع الى أسباب اجتماعية وسياسية ودينية ، ولكن السبب الذي يقف الانسان من نتائجه في مكان الحيرة والاستغراب هو أن الدعاية فى الاسلام لم تكن من الامور التي تأخر المسلمون بالتفكير فيها ، بل هي مما اعتبروه واجبا أساسيا من صدر الاسلام ، مقتدين في ذلك بسيرة النبي (صلى الله عليه وسلم)

قال سليمان نظيف بك : « ولكن مما يؤسف له أن المسلمين قصروا أخيرا في هذا الواجب ، وأساءوا فهم معنى الخراج فحال ذلك دون انتشار الاسلام[1] . واذا كان هذا الدين لا يزال في اتساع وانتشار فالفضل في ذلك يرجع الى ما في أحكامه من قوة وسداد ، ولو كان للمسلمين من أساليب الدعاية وجمعياتها بعض ما للنصرانية لكان يكفي للاسلام قرن واحد حتى يكون الدينَ السائد على الارض . وان علماء الدين الاسلامي أنفسهم صاروا الآن لا ينكرون أن طريقة التعليم في المعاهد الدينية الاسلامية لا توافق حاجة هذا العصر

« ان في الاسلام معنى التوحيد الموصل الى سعادة الآخرة ومعنى الوحدة الموصل الى سعادة الدنيا . ومهما زعمت أوربا أنها لا دينية فانها ما برحت مسلحة بالقوة والهوى والعاطفة الدينية ، وهي مع امريكا صفٌ واحد كالبنيان المرصوص في هذا المعنى . وان ما هي مجهزة به من العلوم والفنون لا يستطيع المسلمون أن يقابلوه باساليب مشايخهم البالية . ومَثَلُ الامة التي لا تتجهز بالعلم والنظام في معترك الحياة كمثل الرجل الذي أهمل تربية جسمه فاعتراه العجز والوهن . فيجب علينا أن نفسح الطريق لانقاذ هذا الدين من ضعف أهله بتعليمهم وتنويرهم . واني اذا صببت اللعنة على الالحاد لا استطيع ـ لا أنا ولا أي واحد من المسلمين المتنورين ـ أن نعطف بالرحمة على الجمود والتعصب

« هذه هي الخواطر التي خطرت لي بعد قراءة كتاب (انتشار الاسلام) للسر ويليم ارنولد » اهـ

---

(١) الزهراء — كان أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في مقدمة من فهم هذا السر الدقيق . فقد كتب اليه عدي بن ارطاة « أما بعد فان الناس قد كثروا في الاسلام وخفت ان يقل الخراج » فكتب اليه عمر « فهمت كتابك ، والله لوددت أن الناس كلهم أسلموا حتى نكون أنا وأنت حراثين نأكل من كسب ايدينا » أنظر (سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي) ص ٩٩ ـ ١٠٠